

## الذكاء الاجتماعي

### والحاجة الى التدريب الاجتماعي

للاستاذ س. م.

يولد الإنسان بمقدار من الذكاء الفطري يختلف فيه نوعا وكما عن مائر الناس ، كما يختلف في تقاسيم الوجه أو خصائص القامة . ولكنه يكتسب بعد ذلك ما يمكن أن نسميه "الذكاء الاجتماعي" وهو ينبنى على المواءمة بينه وبين المجتمع بحيث يأخذ بأقيسته ويتعود عاداته ويتزعم نزواته . وقد يظن القارئ أن هذه الأشياء لا شأن لها بالذكاء . ولكن قليلا من التأمل بين لنا أنها هي معظم الذكاء إن لم نقل كل الذكاء . لأن الذكاء اجتماعي بطبيعته ، إذ لو كان الإنسان يعيش منفردا لاقتصر ذكاؤه على طلب الطعام والأثني ومهاجمة العدو أو الفرار منه . ولكن الانسان - لأنه يعيش في مجتمع - يحتاج إلى اللغة للتفاهم . واللغة تكسبنا سمعة أشارذ كائنا . بل هناك من السيكولوجيين من يعتقد أن التفكير هو كلام صامت لا أكثر . وسواء أسلمنا بهذه النظرية أم لم نسلم ، فإن مما لا شك فيه أن اللغة توضح تفكيرنا وتعين حدوده وتساعدنا على التقلب والتوليد الذهنيين . وليست اللغة من اختراع الفرد وإنما هي من اختراع المجتمع . فذكاؤنا من هذه الناحية اجتماعي . ثم هناك معاني الصدق والكذب والشرف والموان والولاء والحب والطموح والقناعة وما إلى ذلك مما لا يمكن أن نتقبل وجوده إلا في مجتمع . لأن الفرد الذي يتزل الناس - إذا فرضنا أن اعتزله كامل - لا يمكن أن يزن هذه الفضائل أو الرذائل . ونحن في حياتنا الإنسانية لا نستخدم عقولنا للبحث عن الطعام والأثني فقط ، بل معظم ذكاؤنا - أكاد أقول ٩٩٪ منه - ينصرف إلى هذا النشاط الاجتماعي . لأننا لا نبالي الطعام بمقدار مبالاتنا المكانة الاجتماعية .

وكتب هذه السطور يعرف رجلا أعمى قد نيف الآن على الستين . ومع ذلك لا يزيد "عمره العقلي" على عشر سنوات ، لأن هذا المسكين عاش يتيما في صباه . ثم عين له وصي من قرابته . وكانت له ثروة تبعت على الطمع . ورأى هذا الوصي ، لكي يأمن على بقائه في وصايته ويمنع الشكوى من قرابته أو من القاصروا من غيرهم ، أن يعزله عن الناس وهو في العاشرة من عمره . فوقف ذكاؤه عند هذه السن . فهو يحدثننا الآن عن حوادث وأشفاص سنة ١٨٩٠ ولا يعرف ما جد بعدها . وقد ذهبت عنه جميع الاعتبارات الاجتماعية ، حتى أنه

ليخاطبك ويده تؤدي حركات يشمئز منها الناظر . وإذا سأله عن أى موضوع قريب أو بعيد أجابك بالسخف أو الصمت . وكل هذا نتيجة عزله عن الناس منذ خمسين سنة .

وأحيانا نجد أشباها لهذا المسكين . ولكنهم لم يبلغوا درجته في هذا الصنف المكسوب . نعى أولئك ليتامى الذين تربهم زوجة الأب الكارهة أو صبيان الملاجئ الذين يهرمون عطف الأم . ومعظم الصبيان في الإصلاحيات ينقص ذكاؤهم عن المستوى العادى . وهذا النقص قد يعود الى أن المجتمع الأول الذى عاشوا فيه كان خاليا من العطف الأبوى إما لأن الأم كانت مطلقة أو لأن الأب كان متوفى ، وإما لأن الفاقة قد شتت الصغير بعد تشتت أبويه . فأصبح ذكاؤه ذكاء الإجرام . خطف وهجوم وتلصص مع بمد عن التفاهم والتعاطف وما يترانه من استقامة ذهنية تؤدي الى التفكير الاجتماعى المترن .

ومن الأساطير التى كنا نسम्मها أن بعض الأطفال تحفظهم الوحوش ثم يهمل الحنان هذه الوحوش على العطف على هؤلاء الأطفال . فبدلا من أن تفرسهم تربهم وترضعهم . وكنا نظن أن هذه أساطير لا أكثر . ولكن الواقع أنها حقائق لا غش فيها . وهى تكثر فى الهند حيث تجاور الغابات القرى فتخطف الذئاب الأطفال ، فأحيانا تأكلها وأحيانا تربها . والعطف على حيوان غريب ليس بعيدا عن ما لو فنا . فإنا نرى الكلاب تعيش وتلعب مع الخراف . ونرى الكلبة ترضع بنت القطعة . وأحيانا يعيش الأرنب مع الثعلب .

و"كجالا" صبية خطفتها الذئاب من أحد الحقول المجاورة لقرية هندية . وكانت "كجالا" فى الرضاع أو بعده بقليل . فنشأت مع الذئاب . فلما بلغت حوالى العاشرة لمحها القرويون وعرفوها . واستطاعوا بجد جهد أن يقبضوا عليها ويبيدوها الى الحضارة . وكانت الصبية قد نشأت على أن تمشى على أربع وأن تموى كالذئاب . وكان نظرها يسوء فى النهار ويحود فى الليل . وكانت تعتمد على الشم أكثر مما تعتمد على النظر حتى كانت تشم ريح اللحم وهو على مسافة نصف كيلومتر . وكانت عندما تسمع عواء الذئاب فى الليل تهب وتضرب حديد النافذة بيديها لكي تخرج . ولم تفلح جميع المحاولات فى ردها الى الحضارة الإنسانية وبث الذكاء الاجتماعى فى ذهنها .

وهنا يجب أن نتقف ونتأمل حال المرأة التى يفصل بينها وبين المجتمع ، أو حال الفلاح الذى يفصل بينه وبين الحضارة ، أو حال التلميذ الذى نخضه على ألا يعرف غير البيت والمدرسة ، فإن كل هؤلاء ينقص ذكاؤهم الاجتماعى — ذكاؤهم العام — بمقدار اعتزالهم وبمدى عن المجتمع . وهل لنا الحق فى أن نلوم ذلك الأستاذ الأمريكى الذى قال : لعل التلميذ يتنفع بالشرع الذى يقع بين البيت والمدرسة أكثر مما يتنفع بالبيت والمدرسة ؟

أليس الشارع عند الصبى هو المجتمع ؟ هو التجارة والصناعة والبوليس (الحكومة) والدين (المسجد أو الكنيسة) ولوطنية (فى الأعلام والمواكب) ، وهو العلوم المثلة فى الترام

والأنومييل ، وهو العدالة في القبض على اللص وهو التعامل بالنقود ، وهو احترام التقاليد والإكبار للاخترعات ؟ وأي شيء يبعث الذكاء ويخيه أكثر من هذه الملابسات ؟

ولكن هذا الذكاء يحتاج إلى التدريب . فيجب أن تكون بيوتنا مجتمعات راقية وأن نجري صبيانا على الاجتماع بلقاء الزائرين ومؤانسهم . وعلينا أن نقد الاجتماعات من وقت لآخر للثقافة وللتسلية والايناس وللإشتراك في برقوى ولغير ذلك من الشئون التي تكسبنا العقلية الاجتماعية أى الذكاء . والأم التي تحرم أولادها هذا الاختلاط الاجتماعى تنقص ذكاءهم وتحيل كلا منهم إلى " كمالا " هندية وإن لم تبلغ بهم إلى درجتها . وكم من أم حرمت أبناءها مجالسة الضيوف بدعوى أن الصغار لا يقعدون مع الكبار . ثم بالفت في هذا الفصل حتى نشأ ابنها وهو ربك غشيم الحركة يخشى الغرب كأنه حيوان مفترس . ونشأت ابنتها وهي تكاد تكون حيوانا أعجم لا تعرف كيف تتحدث إلى ضيف أو تستجيب لثحية .

أجل . يجب أن نعلم أولادنا الاجتماع وألا نضن عليهم بالأصدقاء يدعونهم إلى المائدة ويمثلون معهم الضيافة الراقية . ويجب أن نكلفهم أعمالا تضطرهم إلى الاحتكاك بالجمهور والشراء والبيع والتنقل ، ونمهد اليهم ببعض الواجبات المترتبة للقاء الضيوف الكبار ومؤانسهم ومحادثتهم في السيادة والشئون العامة . وإذا بلغت الصبية خمس عشرة سنة فيجب أن نعطيها النقود لكي تشتري لنفسها الفستان أو الخذاء الذى تريد ، بدلا من أن نشترى نحن لها وهي مرتاحة وادعة في البيت . وخير لنا ولها أن تشتري هى بنفسها سلعة سيئة وتتعلم منها ، من أن نشترى نحن لها سلعة حسنة وهى تجهل كيف تمت المساومة وكيف كان الاختيار .

ذكاؤنا أيها الناس لا ينمو إلا من الاجتماع . فلا تحرموا أولادكم هذا الاجتماع . بل شجعوهم ودربوهم عليه حتى لا ينشأوا معتوهين ما